كتاب فضل الأولياء وكرامتهم

وفيه أربعة أبواب :

الباب الأول

في فضلهم

قال الله تعالى: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ [1]. قيل: إن أولياء الله هم المؤمنون لقوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَكَانُواْ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾. وقيل: هم الذين تولى الله هداهم بالبرهان الذي آتاهم، فتولوا القيام بحقه والرحمة بخلقه. وَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «**هم قوم تحابوا في الله على غير أرحام بينهم ولا أموال يتعاطونها، فوالله إن وجوههم لنور وإنهم لعلى منابر من نور، لا يخافون إذا خاف الناس، ولا يحزنون إذا حزن الناس**» [2]. ثم تلا: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾. أي: على دنياهم؛ أي: لا خوف عليهم في ذريتهم؛ لأن الله يتولاهم ولا هم يحزنون على دنياهم لتعويض الله إياهم في أولادهم، وأخراهم؛ لأنه وليهم ومولاهم، ففي بعض الأخبار أن النبي ﷺ سُئل: مَن أولياء الله؟ قال: «**الذين إذا رؤوا ذكر الله**» [3].

ويروى عن رسول الله ﷺ؛ قال الله تعالى: «**إن أوليائي من عبادي الذين يذكرون بذكري وأذكر بذكرهم لهم البشرى في الحياة الدنيا**» [4]. أي: عند

(1) سورة يونس، الآيات 62 ـ 64.

(2) تفسير الطبري 8/ 357.

(3) أخرجه ابن المبارك (1/ 72، رقم 218)، وابن جرير فى التفسير (132/11).

(4) أخرجه أحمد (3/ 430، رقم 15588)، وأبو نعيم فى الحلية (6/1).

الموت بأن يرى مكانه في الجنة، وفي الآخرة هي الجنة.

وعن عبادة بن الصامت ـ رضي الله تعالى عنه ـ قال: سألت رسول الله صلى الله علي وسلم عن قوله: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾. قال: «**هي الرؤيا الصالحة يراها المسلم أو ترى له**»[1].

وروي البخاري ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أبي هريرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله تعالى قال: مَن عادى لي وليا فقد آذنته بالحرب، وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني أعطيته، ولئن استعاذني لأعيذنه**»[2]. روي: «**استعاذني**» و«**استعاذ بي**» بالنون والباء. وآذنته بالحرب: أعلمته بأني محارب له.

وروى مسلم عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قال: قال رسول الله ﷺ: «**رب أشعث مدفوع بالأبواب لو أقسم على الله لأبره**»[3]. أي: لو حلف على وقوع شيء لأوقعه الله إكراما له بإجابة سؤاله. وقيل: معنى القسم هنا الدعاء، وأبره: أجابه، والله أعلم.

وعن أنس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أن النبي ﷺ قال: «**بدلاء أمتي أربعون؛ اثنان**

(1) أخرجه أحمد (1/ 219، رقم 1900)، وابن أبي شيبة (6/ 173، رقم 30456)، ومسلم (1/ 348، رقم 479)، وأبو داود (1/ 232، رقم 876)، والنسائي (2/ 189، رقم 1045)، وابن ماجه (2/ 1283، رقم 3899)، وابن حبان (5/ 222، رقم 1896)، وابن الجارود (ص 61، رقم 203)، وأبو عوانة (1/ 490، رقم 1822).

(2) أخرجه البخاري (5/ 2384، رقم 6137)، وابن حبان (2/ 58، رقم 347)، والبيهقي (10/ 219، رقم 20769)، وأبو نعيم فى الحلية (4/1).

(3) أخرجه مسلم (4/ 2024، رقم 2622).

وعشرون بالشام وثمانية عشر بالعراق ، كلما مات واحد منهم أبدل الله مكانه آخر ، فإذا جاء الأمر قبضوا» [1].

وعن عبد الله بن مسعود ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ قال : قال رسول الله ﷺ : «**إن لله تعالى في الأرض ثلاثمائة قلوبهم على قلب آدم ، وله أربعون قلوبهم على قلب ميكائيل ، وله واحد قلبه على قلب إسرافيل ، فإذا مات الواحد أبدل الله مكانه من الثلاثة ، وإذا مات من الثلاثة أبدل الله مكانه من الخمسة ، وإذا مات من الخمسة أبدل الله مكانه من السبعة ، وإذا مات من السبعة أبدل الله مكانه من الأربعين ، وإذا مات من الأربعين أبدل الله مكانه من الثلاثمائة ، وإذا مات من الثلاثمائة أبدل الله مكانه من العامة ، يدفع الله بهم البلاء عن هذه الأمة**» [2]. وذكر بعضهم «عزرائيل» ولم يذكر «موسى» وجعل مكان «إبراهيم» «جبرائيل» ومكان «جبرائيل» «ميكائيل» ومكان «ميكائيل» «إسرافيل» ومكان «إسرافيل» «عزرائيل» صلوات الله عليهم أجمعين .

قال الشيخ الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي[3] ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : والواحد المذكور في هذا الحديث هو القطب ، وهو الغوث ، ومكانه من الأولياء كالنقطة من الدائرة التي هي مركزها ، به يقع صلاح العالم [4].

وقال بعضهم : لم يذكر رسول الله ﷺ قلبه في جملة الأنبياء والملائكة

(1) أخرجه ابن عساكر (291/1) .

(2) أخرجه أبو نعيم فى الحلية (8/1) ، وابن عساكر (303/1) .

(3) عبد الله بن أسعد اليافعي توفي سنة (786هـ) أحد أقطاب صوفية اليمن فقيه مؤرخ صاحب كتاب روض الرياحين في ذكر حكايات الأولياء والصالحين ومرآة الجنان في التاريخ ، انظر : طبقات الخواص ص (162) ، البدر الطالع (378/1) .

(4) روض الرياحين في حكايات الصالحين 16، تأليف عبد لله بن أسعد اليافعي ، وبذيله عمدة التحقيق في بشائر الصديق للشيخ إبراهيم العبيدي المالكي ، نسخة مصورة بدون تاريخ .

والأولياء؛ إذ لم يخلق الله تعالى في عالم الخلق والأمر أعز وألطف وأشرف من قلبه عليه الصلاة والسلام، فقلوب الملائكة والأنبياء والأولياء بالإضافة إلى قلبه كإضافة سائر الكواكب إلى كمال نور الشمس.

وقال الشيخ العارف أبو الحسين النوري ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: شاهد الحق القلوب فلم ير قلبا أشوق إليه من قلب محمد ﷺ، فأكرمه بالمعراج تعجيلا للرؤية والمكالمة [1].

وقال الشيخ العارف بحر المعارف ذو النون المصري[2] ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: ركضت أرواح الأنبياء في ميدان المعرفة، فسبقت روحُ نبينا ﷺ أرواحَ سائر الأنبياء إلى رياض الوصال.

وروى عن علي ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أنه قال: البدلاء في الشام، والنجباء بمصر، والعصائب بالعراق، والنقباء بخرسان، والأوتاد بسائر البلدان، والخضر عليه السلام سيد القوم [3].

وروي عن أبي الدرداء ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أنه قال: إن لله عبادا يقال لهم: الأبدال؛ لم يبلغوا ما بلغوا بكثرة الصوم والصلاة والتخشع وحسن الحلية، ولكن

(1) نقلى شيخ الإسلام ابن تيمية في الاستقامة 1/ 158.

(2) هو: ثوبان بن إبراهيم الأخميمي المصري، أبو الفياض، أو أبو الفيض: أحد الزهاد العباد المشهورين. من أهل مصر. نوبي الأصل من الموالي. كانت له فصاحة وحكمة وشعر. وهو أول من تكلم بمصر في (ترتيب الأحوال ومقامات أهل الولاية) فأنكر عليه عبد الله بن عبد الحكم. واتهمه المتوكل العباسي بالزندقة، فاستحضره إليه وسمع كلامه.
ثم أطلقه، فعاد إلى مصر. وتوفي بجيزتها.
ترجمته في وفيات الأعيان 1/ 101، وميزان الاعتدال 331/1 ولسان الميزان 437/2 وحلية 9/ 331، 3/10 وطبقات الشعراني 59/1 وتاريخ بغداد 8/ 393.

(3) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق 300/1 عن سليمان الداراني، ونقله الصالحي في سبل الهدى والرشاد 10/ 372.

بلغوا بصدق الورع وحسن النية وسلامة الصدر والرحمة لجميع المسلمين، اصطفاهم الله بعلمه واستخلصهم لنفسه، وهم أربعون رجلا على مثل قلب إبراهيم ﷺ، لا يموت الرجل منهم حتى الله يكون قد أنشأ مَن يخلفه[1].

واعلم أنهم لا يسبون شيئا ولا يلعنونه، ولا يؤذون من يخونهم ولا يحقرونه، ولا يحسدون من فوقهم، أطيب الناس خيرا وألينهم عريكة، وأسخاهم نفسا لا تدركهم الخيل المجراة، ولا الرياح العواصف فيما بينهم وبين ربهم، إنما قلوبهم تصد في السقوف العليا ارتياحا إلى الله تعالى في استبقاء الخيرات، أولئك حزب الله ألا إن حزب الله هم المفلحون. وهذا بعض كلامه.

قال اليافعي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: وقال أبو الليث السمرقندي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: يقال: أخلاق الأبدال عشرة أشياء: سلامة الصدور، والسخاوة في المال، وصدق اللسان، وتواضع النفس، والصبر في الشدة، والبكاء في الخلوة، والنصيحة للخلق، والرحمة للمؤمنين، والتفكر في الأشياء والعبرة بالأشياء[2].

وقال الحسن: لولا الأبدال لخسفت الأرض بمن فيها، ولولا الصالحون لفسدت الأرض، ولولا العلماء لصارت الناس مثل البهائم، ولولا السلطان لأكل الناس بعضهم بعضا، ولولا الحمقى لخربت الأرض، ولولا الريح لأنتن ما بين السماء والأرض[3].

وعن أبي عثمان المغربي ـ رضي الله تعالى عنه ـ أنه قال: العراف تضيء له أنوار العلم فينظر بها عجائب الغيب[4].

(1) تفسير حقي 4/ 334.

(2) تنبيه الغافلين، ص 154، وتفسير حقي 6/ 219.

(3) إحياء علوم الدين 1/ 25.

(4) الرسالة القشيرية 143، وفيض القدير 1/ 186.

وقال إبراهيم بن أدهم ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ لرجل: أتحب أن تكون لله وليا؟ قال: نعم. قال: لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة، وفرغ نفسك لله، وأقبل عليه بوجهك ليقبل عليك ويواليك [1].

وقال الشيخ أبو نصر السراج ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: الناس في الأدب على ثلاث طبقات؛ **أما أهل الدنيا**: فأكثر آدابهم في الفصاحة والبلاغة، وحفظ العلوم وأسماء الملوك، وأشعار العرب. **وأما أهل الدين**: فأكثر آدابهم في رياضة النفوس، وتأديب الجوارح بالعهود، وحفظ الحدود، وترك الشهوات. **وأما أهل الخصوصية**: فأكثر آدابهم في طهارة القلب ومراعاة الأسرار والوفاء بالعهود، وحفظ الوقت وقلة الالتفات إلى الخواطر، وحسن الأدب في مواقف الطلب وأوقات الحضور، ومقامات القرب [2].

وكان أحمد بن حنبل عند الشافعي ـ رضي الله تعالى عنهما ـ فجاء شيبان الراعي فقال أحمد: أريد يا أبا عبد الله أن أنبه هذا على نقصان علمه ليشتغل بتحصيل بعض العلوم. فقال له الشافعي: لا تفعل. فلم يقنع فقال لشيبان: ما تقول فيمن سها عن صلاة من خمس صلوت في اليوم والليلة ولا يدري أي صلاة نسيها؟ فما الواجب عليه يا شيبان؟ فقال شيبان: يا أحمد هذا قلب غفل عن الله ـ عز وجل ـ فالواجب أن يؤدب حتى لا يغفل عن مولاه. فغشي على أحمد، وفي رواية أخرى: فالواجب أن يؤدب بإعادة الخمس، فلما أفاق الإمام أحمد قال له الإمام الشافعي: ألم أقل لك: لا تحرك هذا. وفي رواية أخرى: أنه سأله عن الزكاة أيضا: في كم تجب؟ فقال شيبان: أما على مذهبكم تجب في الإبل في كذا وكذا، وفي البقر في كذا وكذا، وفي الغنم في كذا وكذا، وفي الفضة في

(1) الرسالة القشيرية 118.

(2) الرسالة القشيرية 129، ولباب الآداب لابن منقذ 69.

كذا وكذا، وفي الذهب في كذا وكذا، وفي الزرع والثمار في كذا وكذا، وأما على مذهبي فالكل له[1].

وكان فقيه من أكابر الفقهاء حلقته بجنب حلقة الشبلي[2] في جامع المنصور، وكان يقال لذلك الفقيه: أبو عمران. وكان يتعطل عليه وعلى أصحابه حلقتهم بكلام الشبلي، فسأل أصحاب أبي عمران يوما الشبلي عن مسألة في الحيض وقصدوا إخجاله، فذكر مقالات الناس في تلك المسألة والخلاف فيها، فقام أبو عمران، وقبل رأس الشبلي وقال: يا أبا بكر استفدتُ في هذه المسألة عشرة مقالات لم أسمعها، وكان عندي من جملة ما قلت ثلاثة أقاويل[3].

وقال بعضهم: حضرت مجلس أبي العباس ابن شريج، فتكلم في الفروع والأصول بكلام حسن عجبت منه، فلما رأى إعجابي قال: أتدري من أين هذا؟ هذا من بركة مجالستي أبا القاسم الجنيد[4].

وقيل لأبي القاسم الجنيد: ممن استفدت هذه العلوم؟ فقال: من جلوسي بين

(1) الرسالة القشيرية 180.

(2) هو: دلف بن جحدر الشبلي: ناسك.كان في مبدأ أمره واليا في دنباوند (من نواحي رستاق الري) وولي الحجابة للموفق العباسي، وكان أبوه حاجب الحجاب، ثم ترك الولاية وعكف على العبادة، فاشتهر بالصلاح. له شعر جيد، سلك به مسالك المتصوفة. أصله من خراسان، ونسبته إلى قرية (شبلة) من قرى ما وراء النهر، ومولده بسر من رأى، ووفاته ببغداد. اشتهر بكنيته، واختلف في اسمه ونسبه، فقيل (دلف بن جعفر) وقيل (جحدر بن دلف) و(دلف ابن جعترة) و(دلف بن جعونة) و(جعفر ابن يونس).ترجمته في: طبقات الصوفية 337 ـ 348، حلية الأولياء 366/10 ـ 375، تاريخ بغداد 389/14 ـ 397، الرسالة القشيرية 25 ـ 26، وفيات الأعيان 273/2 ـ 276، ومرآة الجنان 317/2 ـ 319، والديباج المذهب 116 ـ 117، طبقات الأولياء: 204 ـ 213، النجوم الزاهرة 289/3 ـ 290، شذرات الذهب: 2/ 338.

(3) الرسالة القشيرية 181.

(4) تاريخ بغداد 7/ 243، ووفيات الأعيان 1/ 373.

يدي الله عز وجل ثلاثين سنة ، تحت تلك الدرجة . وأشار إلى درجة في داره [1].

وقال ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : لو علمت أن لله علما تحت أديم السماء أشرف من هذا العلم الذي نتكلم فيه مع أصحابنا وإخواننا ، لسعيت إليه ولقصدته [2].

وقال أيضا : ما أخذنا التصوف عن القال والقيل ، لكن عن الجوع وترك الدنيا وقطع المألوفات والمستحسنات [3].

وروي أن الإمام أحمد ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ كان مع جلالة قدره يكثر التردد إلى بعض الصوفية العارفين ، فقيل له : أتتردد لرواية عند هذا الشيخ؟! فقال : عنده رأس الأمر تقوى الله ـ عز وجل ـ أو قال : معرفة الله عز وجل [4].

❊ ❊ ❊

(1) الرسالة القشيرية 18، وصفة الصفوة 1/ 274.

(2) الرسالة القشيرية 181، وتاريخ بغداد 7/ 243.

(3) الرسالة القشيرية 18، وحلية الأولياء 4/ 386، وذم الهوى 51.

(4) قوت القلوب 217.

الباب الثاني

في إثبات كرامات الأولياء

قال الشيخ الإمام الزاهد عبد الله بن أسعد اليافعي ـ رَحِمَهُ اللهُ تعالى ـ: ظهور الكرامات على الأولياء جائز عقلا واقع نقلا، أما جوازه عقلا؛ فإنه ليس بمستحيل في قدرة الله تعالى، بل هو من قبيل الممكنات، كظهور معجزات الأنبياء. هذا مذهب أهل السنة من المشايخ العارفين والنظار الأصوليين والفقهاء والمحدثين وتصانيفهم ناطقة بذلك، ثم القول الصحيح المحقق المختار عند جمهور المحققين من أهل السنة أن كل ما جاز للأنبياء من المعجزات جاز للأولياء مثله من الكرامات بشرط عدم التحدي، ولا يرد على ذلك القرآن للزومه التحدي، ولا يصح قول من يقول: إن ذلك يؤدي إلى الالتباس بين الكرامات والمعجزات؛ لأن المعجزة يجب على النبي أن يتحدى بها ويظهرها، والكرامة يجب على الولي أن يخفيها ويسرها، إلا عند ضرورة، أو إذن، أو حال غالب لا يكون له فيه اختيار لتقوية يقين بعض المريدين كما فعل بعضهم؛ غَرَفَ عسلًا من الجو ووضعه في في مريده، وآخر أرى غيره الكعبة من بلاد بعيدة، وآخر أرى بعض المنكرين الكعبة تطوف به[1].

قال اليافعي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ: وقد سمعنا سماعا محققا أن جماعة منهم شوهدت الكعبة تطوف به طوافا محققا حقيقة[2]. قال: ورأيت بعض مَن شاهد ذلك من الثقات الأتقياء، بل من السادات العلماء، وما ذهب إليه الأستاذ أبو

(1) روض الرياحين في حكايات الصالحين 94.

(2) روض الرياحين في حكايات الصالحين 94.

إسحاق الإسفرائيني ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ من إثبات بعض الكرامات دون بعض، فهو مخالف لمذهب الجمهور الصحيح المشهور.

وأما وقوع ذلك نقلا، فقد جاء في القرآن والأخبار والآثار بالإسناد ما يخرج عن الحصر والتعداد، فمن ذلك ما أخبر الله عن مريم ـ رضوان الله عليها ـ بقوله عز وجل: ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ﴾ الآية[1]. وقوله سبحانه لمريم: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيْكِ بِجِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ تُسَٰقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا ﴿٢٥﴾﴾[2]. وكان في غير أوان الرطب، كما جاء في التفسير[3].

وكذلك ما أخبر الله تعالى من العجائب على يد الخضر مع موسى عليه السلام، وكذلك قصة ذي القرنين، وتمكين الله سبحانه له ما لم يمكنه لغيره، وكذلك قصة أصحاب الكهف والأعاجيب التي ظهرت عليهم ـ رضوان الله عليهم ـ من كلام الكلب معهم، وغير ذلك، وكذلك قصة آصف بن برخيا ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ مع سليمان ﷺ في عرش بلقيس في قوله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾[4]. وكل هؤلاء المذكورين ليسوا بأنبياء.

ومن ذلك في الحديث المشهور في **الصحيحين** حديث جريج الراهب الذي كلمه الطفل في المهد حين قال له: يا غلام، من أبوك؟ قال: فلان الراعي[5].

ومن ذلك حديث أصحاب الغار الذين انطبقت عليهم الصخرة، وهو

(1) سورة آل عمران، الآية: 37.

(2) سورة مريم، الآية: 25.

(3) يراجع تفسير ابن كثير آية 25 من سورة مريم.

(4) سورة النمل، الآية: 40.

(5) البخاري (1206)، ومسلم (6672).

حديث صحيح مذكور في الصحيحين [1].

ومن ذلك ما جاء في الصحيحين في أبي بكر الصديق مع ضيفه الذي قال فيه: وأيم الله ما أكلنا لقمة إلا رَبَا من أسفلها أكثر منها حتى شبعوا، وصارت أكثر مما كانت قبل ذلك [2].

ومن ذلك ما في الصحيحين أيضا قال رسول الله ﷺ: «**لقد كان فيما قبلكم من الأمم محدثون فإن يك في أمتي أحد فإنه عمر**» [3].

ومن ذلك ما صح عن عمر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أنه قال: يا سارية، الجبلَ. في حال خطبته في يوم الجمعة، فبلغ صوته إلى سارية في ذلك الوقت، فتحرز من العدو في مكان من الجبل في تلك الساعة [4]، فكان في ذلك لعمر كرامتان:

إحداهما: ما كشف له عن حال سارية وأصحابه المسلمين وحال العدو.

والثانية: بلوغ صوته إلى سارية في بلاد بعيدة.

ومن ذلك حديث خبيب المشهور وهو في **صحيح البخاري** [5].

---

(1) البخاري (2272)، ومسلم (7125).

(2) البخاري (602)، ومسلم (5486).

(3) أخرجه أحمد (55/6 رقم 24330). ومسلم (1864/4 رقم 2398)، والترمذي (5/ 622، رقم 3693) وقال: حديث صحيح. والنسائي فى الكبرى (39/5 رقم 8119)، والحميدي (1/ 123، رقم 253)، وإسحاق بن راهويه (2/ 479، رقم 1058)، وابن أبى عاصم فى السنة (2/ 583، رقم 1261)، واللالكاني فى كرامات الأولياء (1/ 94، رقم 42) والحاكم فى معرفة علوم الحديث (ص 220).

(4) أخرجه ابن عساكر (24/20).

(5) يشير أن أبا هريرة ـ رضى الله عنه ـ قال بعث رسول الله ـ ﷺ ـ عشرة رهط سرية عينا، وأمر عليهم عاصم بن ثابت الأنصارى جد عاصم بن عمر، فانطلقوا حتى إذا كانوا بالهدأة وهو بين عسفان ومكة ذكروا لحى من هذيل يقال لهم بنو لحيان، فنفروا لهم قريبا من مائتى رجل، كلهم رام، فاقتصوا آثارهم حتى وجدوا مأكلهم تمرا تزودوه من المدينة فقالوا هذا تمر يثرب. فاقتصوا=

ومن ذلك حديث البخاري في أسيد بن خضير وعباد بن بشر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ الذي قال فيه: خرجا من عند النبي ﷺ في ليلة مظلمة ومعهما مثل المصباحين بين أيديهما، فلما افترقا صار مع كل واحد منهما واحد حتى أتى أهله [1].

ومن ذلك ما جاء أن ابن عمر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ قال للأسد الذي منع

=آثارهم، فلما رآهم عاصم وأصحابه لجئوا إلى فدفد، وأحاط بهم القوم فقالوا لهم انزلوا وأعطونا بأيديكم، ولكم العهد والميثاق، ولا نقتل منكم أحدا. قال عاصم بن ثابت أمير السرية أما أنا فوالله لا أنزل اليوم فى ذمة كافر، اللهم أخبر عنا نبيك. فرموهم بالنبل، فقتلوا عاصما فى سبعة، فنزل إليهم ثلاثة رهط بالعهد والميثاق، منهم خبيب الأنصارى وابن دثنة ورجل آخر، فلما استمكنوا منهم أطلقوا أوتار قسيهم فأوثقوهم فقال الرجل الثالث هذا أول الغدر، والله لا أصحبكم، إن فى هؤلاء لأسوة. يريد القتلى، فجرروه وعالجوه على أن يصحبهم فأبى فقتلوه، فانطلقوا بخبيب وابن دثنة حتى باعوهما بمكة بعد وقعة بدر، فابتاع خبيبا بنو الحارث بن عامر بن نوفل بن عبد مناف، وكان خبيب هو قتل الحارث بن عامر يوم بدر، فلبث خبيب عندهم أسيرا، فأخبرنى عبيد الله بن عياض أن بنت الحارث أخبرته أنهم حين اجتمعوا استعار منها موسى يستحد بها فأعارته، فأخذ ابنا لى وأنا غافلة حين أتاه قالت فوجدته مجلسه على فخذه والموسى بيده، ففزعت فزعة عرفها خبيب فى وجهى فقال تخشين أن أقتله ما كنت لأفعل ذلك.

والله ما رأيت أسيرا قط خيرا من خبيب، والله لقد وجدته يوما يأكل من قطف عنب فى يده، وإنه لموثق فى الحديد، وما بمكة من ثمر وكانت تقول إنه لرزق من الله رزقه خبيبا، فلما خرجوا من الحرم ليقتلوه فى الحل، قال لهم خبيب ذرونى أركع ركعتين. فتركوه، فركع ركعتين ثم قال لولا أن تظنوا أن ما بى جزع لطولتها اللهم أحصهم عددا. ولست أبالى حين أقتل مسلما على أى شق كان لله مصرعى وذلك فى ذات الإله وإن يشأ يبارك على أوصال شلو ممزع فقتله ابن الحارث، فكان خبيب هو سن الركعتين لكل امرئ مسلم قتل صبرا، فاستجاب الله لعاصم بن ثابت يوم أصيب، فأخبر النبى ـ ﷺ ـ أصحابه خبرهم وما أصيبوا، وبعث ناس من كفار قريش إلى عاصم حين حدثوا أنه قتل ليؤتوا بشىء منه يعرف، وكان قد قتل رجلا من عظمائهم يوم بدر، فبعث على عاصم مثل الظلة من الدبر، فحمته من رسولهم، فلم يقدروا على أن يقطع من لحمه شيئا. أطرافه 3989، 4086، 7402 ـ تحفة 14271 ـ 4/83

(1) البخاري (465، 3639).

الناس الطريق: تنح فبصبص بذَنَبِه وذهب فمشى الناس، فقال ابن عمر: صدق رسول الله ﷺ: «**من خاف من الله خوف الله منه كل شيء**»[1].

ومن ذلك ما جاء أن رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمي ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ في غزاة، فحال بينهم وبين الموضع قطعة من البحر، فدعا الله باسمه الأعظم ومشى على الماء[2].

فإن قيل: ما بال الصحابة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم ـ لم يشتهر عنهم من الكرامات الكثيرة مثل ما اشتهر عن الأولياء بعدهم.

فالجواب: ما أجاب به أحمد بن حنبل ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ لما قيل له: يا أبا عبد الله، إن الصحابة لم يُروَ عنهم من الكرامات ما قد روي عن الأولياء والصالحين، فكيف هذا؟ فقال: أولئك كان إيمانهم قويا فما احتاجوا إلى زيادة شيء يقوون به، وغيرهم كان إيمانه ضعيفا لم يبلغوا إيمان أولئك فقووا بإظهار الكرامات لهم[3].

وفي هذا المعنى قال بعض الشيوخ في كرامات مريم: كانت في بدايتها يتعرف إليها بخرق العادات بغير سبب تقوية لإيمانها وتكميلا ليقينها، فكانت كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا، فلما قوي إيمانها وكمل يقينها ردت إلى السبب، وقيل لها: ﴿وَهُزِّيٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾[4].

وقال أبو القاسم القشيري ـ رضي الله عنه ـ: وكل نبي ظهرت كرامته على واحد من

(1) حلية الأولياء 7/ 69.

(2) البيهقي في دلائل النبوة 16/ 191، وابن أبي الدنيا في مجابو الدعوة (26).

(3) طبقات السبكي 2/ 250.

(4) البحر المديد 3/ 458.

أمته فهي معدودة من جملة معجزاته [1].

قال : ثم هذه الكرامات قد تكون إجابة دعوة وقد تكون إظهار طعام في أوان فاقة من غير سبب ظاهر ، أو حصول ماء في زمن عطش ، أو تسهيل قطع مسافة في مدة قريبة ، أو تخليصا من عدو ، أو سماع خطاب من هاتف أو غير ذلك من فنون الأفعال الناقضة للعادة انتهى [2].

فإن قيل : تشتبه الكرامات بالسحر؟

فالجواب : ما أجاب به العلماء المحققون ، أن السحر يظهر على يد الفساق والزنادقة والكفار ، الذين هم على غير الالتزام بالأحكام الشرعية ومتابعة السنة ، وأما الأولياء فهم الذين بلغوا في متابعة السنة وإحكام الشريعة وآدابها الدرجة العليا فافترقا .

والناس في الكرامات مختلفون : فمنهم من ينكرها مطلقا ، وهؤلاء أهل مذهب معروف وعن التوفيق مصروف ، ومنهم من يكذب بكرامات أولياء زمانه ويصدق بكرامات الأولياء الذين ليسوا في زمانه ؛ كمعروف وهؤلاء ، كما قال الشاذلي : والله ما هي إلا إسرائيلية صدقوا بموسى وكذبوا بمحمد ﷺ ؛ لأنهم أدركوا زمنه ، ومنهم من يصدق بأن لله تعالى أولياء لهم كرامات ، ولا يصدق بأحد معين من أهل زمانه ، فهؤلاء محرومون أيضا ؛ لأن من لم يسلم لواحد معين لم ينتفع بأحد ، نسأل الله التوفيق ، ذكر هذا جميعه الإمام عبد الله بن أسعد اليافعي ، رَحِمَهُ اللهُ تعالى [3].

وعن عائشة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ـ أن أبا بكر نحلها جداد عشرين وسقا من ماله

(1) الرسالة القشيرية 159.

(2) السابق : نفس الموضع .

(3) روض الرياحين في مناقب الصالحين 59.

بالغابة، فلما حضرته الوفاة قال: والله يا بنية، ما من الناس أحب إلى غني بعدي منك، ولا أعز علي فقرا منك، وإني كنت نحلتك جداد عشرين وسقا، فلو كنت جددتها وحزتها كان لك، وإنما هو اليوم مال وارث، وإنما هما أخواك أو أختاك فاقسموه على كتاب الله. قالت عائشة: يا أبت، لو كان كذا وكذا لتركته، إنما هي أسماء فمن الأخرى؟ فقال: ذو بطن بنت خارجة، آراها جارية[1]. وبنت خارجة زوجته، وكانت حاملا حين توفي، فولدت بعده أم كلثوم، فتزوجها طلحة بن عبيد الله.

وعن ابن عمر أن عمر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ حين بعث جيشا وأمَّر عليهم رجلا يدعى سارية، قال: فبينما عمر يخطب وهو على المنبر، جعل يصيح: يا سارية الجبل، يا سارية الجبل، يا سارية الجبل. فلما قدم رسول الجيش فسأله قال: يا أمير المؤمنين، لقينا عدونا فهزمونا، وإن الصائح ليصيح: يا سارية الجبل. فأسندنا ظهرنا إلى الجبل، فهزمهم الله تعالى[2].

وروي أنه لما فتحت مصر أتى أهلها عمرو بن العاص حين دخل بؤنة من شهر العجم، فقالوا: أيها الأمير، إن لنيلنا هذا سنة لا يجري إلا بها. فقال لهم: وما ذاك؟ فقالوا: إذا كان اثنتا عشرة ليلة خلون من هذا الشهر عَمَدْنا إلى جارية بكر بين أبويها، فأرضينا أبويها وجعلنا عليها من الحلي والثياب أفضل ما يكون، ثم ألقيناها فيه. فقال عمرو: هذا لا يكون في الإسلام؛ فإن الإسلام يهدم ما قبله. وكتب إلى عمر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ بذلك فكتب إليه: إنك قد أصبت؛ فإن الإسلام يهدم ما قبله، وإني قد بعثت إليك ببطاقة فألقها في النيل، فلما وصلت البطاقة إلى عمرو فإذا فيها: من عبد الله أمير المؤمنين عمر، إلى نيل مصر، أما

(1) الموطأ (2189)، ومصنف عبد الرزاق (16507).

(2) أخرجه ابن عساكر (24/20).

بعد : فإن كنت إنما تجري من قِبَلك فلا تجري ، وإن كان الله الواحد القهار هو الذي يجريك فنسأله أن يجريك . فألقاها فيه فأجراه الله ستة عشر ذراعا في ليلة واحدة ، وقطع الله تلك السنة عن أهل مصر إلى اليوم [1].

وقال أبو بكر بن عياش ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ أتيت زمزم فاستقيت منها عسلا ، وأتيتها فاستقيت منها لبنا ، وأتيتها فاستقيت منها ماء [2].

وعن سعيد بن أبي عروبة ، قال عمر : غُمَّ على الناس هلال شهر رمضان ، قال : فخرج الحسن البصري وقال : اللهم إن كانت ليلته فبينه . قال : فانجلى عنه الغيم حتى نظر إليه الناس [3].

وعن عامر بن عبد قيس أنه مَرَّ بقافلة قد حبسهم أسد ، فقالوا له : يا أبا عبد الله ، إنا نخاف عليك من الأسد! قال : إنما هو كلب من كلاب الله ، إن شاء الله أن يسلطه سلطه ، وإن شاء أن يكفه كفه ، فمشى إليه حتى أخذ أذنه فنحاه عن الطريق وجازت القافلة . وقال : إني أستحي من ربي عز وجل أن يرى من قلبي أني أخاف من غيره [4].

وعن ثابت البناني ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ قال : كنت مع مصعب بن الزبير[5] في

(1) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (2392) ، والرياض النضرة 1/ 155، وتاريخ دمشق 44/ 337.

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (2484) ، وتاريخ بغداد 6/ 341.

(3) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (2488) .

(4) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (2490) ، وتعظيم قدر الصلاة (835) ، وصفة الصفوة 3/ 204، وتاريخ دمشق 67/ 207.

(5) هو : مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي ، أبو عبد الله : أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام . نشأ بين يدى أخيه عبد الله بن الزبير ، فكان عضده الأقوى في تثبيت ملكه بالحجاز والعراق . وولاه عبد الله البصرة (سنة 67هـ) فقصدها ، وضبط أمورها ، وقتل المختار الثقفى . ثم عزله عبد الله عنها مدة سنة ، وأعاده في أواخر سنة 68 وأضاف إليه الكوفة ، فأحسن سياستهما . وتجرد عبد الملك بن مروان لقتاله ، فسير إليه الجيوش ، فكان مصعب يفلها . حتى خرج إليه =

سواد الكوفة ، فدخلت حائطا أصلي ، فافتتحت حم المؤمنون ، حتى بلغت ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ﴾[1] فإذا رجل خلفي على بغلة شهباء عليه مقطعات يمانية فقال : إذا قلت : ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ . فقل : يا غافر الذنب اغفر ذنبي ، وإذا قلت : ﴿وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ﴾ . فقل : يا قابل التوب اقبل توبتي ، وإذا قلت : ﴿شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ﴾ فقل : يا شديد العقاب لا تعاقبني . فإذا قلت : ﴿ذِي ٱلطَّوۡلِۖ﴾ . فقل : يا ذا الطول تطول علي منك برحمتك . فالتفتُّ فلم أر أحدا ، فرجعت إلى الباب فقلت : هل مر بكم رجل عليه مقطعات يمانية؟ قالوا : ما رأينا أحدا . وكانوا يرون أنه إلياس عليه السلام[2].

وقيل إن عتبة الغلام دعا ربه أن يهب له ثلاث خصال في دار الدنيا ؛ دعا ربه أن يَمُنَّ عليه بصوت حزين ، ودمع غزير ، وطعام من غير تكلف ، فكان إذا قرأ بكى وأبكى فكانت دموعه جارية دهره ، وكان يأوي إلى منزله فيصيب قوته ولا يدري من أين يأتيه[3].

= عبد الملك بنفسه ، فلما دخل العراق خذل مصعبا قواد جيشه وأصحابه فثبت فيمن بقي معه ، فأنفذ إليه عبد الملك أخاه (محمد بن مروان) فعرض عليه الأمان وولاية العراقين أبدا ما دام حيا ومليوني درهم صلة ، على أن يرجع عن القتال ، فأبى مصعب ، فشد عليه جيش عبد الملك ، في وقعة عند دير الجاثليق (على شاطئ دجيل ، من أرض مسكن) وطعنه زائدة بن قيس السعدى (أو عبيدالله بن زياد بن ظبيان) فقتله . وحمل رأسه إلى عبد الملك . وبمقتله نقلت بيعة أهل العراق إلى ملوك الشام . وكانت في البهنساوية بمصر قبيلة تنتسب إليه تعرف ببني مصعب قال أبو عبيدة (معمر ابن المثنى) : كان مصعب أحب أمراء العراق إلى أهل العراق ، يعطيهم عطاءين عطاء للشتاء وعطاء للصيف ، وكان يشتد في موضع الشدة ويلين في موضع اللين .

ترجمته في : طبقات ابن سعد 5/ 182، طبقات خليفة (2067) ، تاريخ البخاري 7/ 350، الأخبار الموفقيات 525 وما بعدها ، المعارف 224، الأغاني 19/ 122، تاريخ بغداد 13/ 105.

(1) سورة غافر ، الآية : 3.

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (2502) ، وتاريخ دمشق 9/ 217، وحلية الأولياء 2/ 328.

(3) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (2521) ، وشعب الإيمان 3/ 382، وحلية الأولياء 6/ 236،=

وقيل : إن رابعة[1] كانت تطبخ قِدْرًا ، فاشتهت بَصَلا ، فجاء طير في منقاره بصلة فألقاها إليها [2].

وكان أبو معاوية الأسود قد عمي ، وكان إذا أراد أن يقرأ نشر المصحف رجع بصره إليه ، فإذا أطبقه ذهب بصره [3].

وحكى النووي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ في كتاب **البستان** أن امرأة أبي مسلم الخولاني قالت له : ليس لنا دقيق . قال هل : عندك شيء؟ قالت : درهم بعنا به غزلا . قال : أبغنيه وهات الجراب ، فدخل السوق فوقف على رجل يبيع الطعام وقف عليه سائل ، فقال : يا أبا مسلم تصدق علي . فهرب منه وأتى حانواتا آخر فتبعه السائل ، فقال : يا أبا مسلم ، تصدق علينا . فأضجره فأعطاه الدرهم ، ثم عمد إلى الجراب فملأه من نحاتة النجارين مع التراب ، ثم أقبل إلى باب منزلة فنقر الباب وهو مرعوب من أهله ، فلما فتحت الباب رمى الجراب وذهب ، وإذا فيه دقيق حُوَّارَى ، فعجنت وخبزت ، فلما ذهب من الليل الهوي جاء أبو مسلم فنقر

=ومجابو الدعوة (204) .

(1) هي : البصرية ، الزاهدة ، العابدة ، الخاشعة ، أم عمرو رابعة بنت إسماعيل العدوية ، أم الخير ، مولاة آل عتيك ، البصرية : صالحة مشهورة ، من أهل البصرة ، ومولدها بها.لها أخبار في العبادة والنسك ، ولها شعر : من كلامها : (اكتموا حسناتكم كما تكتمون سيئاتكم) توفيت بالقدس ، قال ابن خلكان : (وقبرها يزار ، وهو بظاهر القدس من شرقيه ، على رأس جبل يسمى الطور) وقال : (وفاتها سنة 135 كما في شذور العقود لابن الجوري ، وقال غيره سنة 185) . ترجمتها في : الإحياء للغزالي : 2/ 267، وفيات الأعيان 3/ 215، عبر الذهبي 1/ 278، الرسالة القشيرية 86، 173، قوت القلوب للمكي 1/ 103، 156، التعرف : للكلاباذي 73، 121، نفحات الأنس : 716، الطبقات الكبرى للشعراني 56، الكواكب الدرية للمناوي (96) ص 108، شذرات الذهب 1/ 193، تذكرة الأولياء للعطار : 1/ 59، النجوم الزاهرة : 1/ 330، شرح المقامات : 2/ 231.

(2) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (2525) ، ومجابو الدعوة (105) .

(3) الرسالة القشيرية 168، وتاريخ دمشق 67/ 243.

الباب ، فلما دل وضعت بين يديه خوانا وأرغفة حُوَّارَى ، فقال : من أين لكم هذا؟ قالت : يا أبا مسلم ، من الدقيق الذي جئت به ، فجعل يأكل ويبكي [1]. واسم أبي مسلم عبد الله بن ثوب ، وكان رحل إلى رسول الله ﷺ ليصحبه ، فتوفي النبي ﷺ وهو في الطريق .

ولما ادّعى الأسود بن قيس العنسي الكذاب النبوة باليمن بعث إلى أبي مسلم الخولاني ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ فلما جاءه قال : أتشهد أني رسول الله؟ فقال : ما أسمع . قال : أتشهد أن محمدا رسول الله؟ قال : نعم . فردد ذلك علي ، ظ فأمر بنار عظيمة فأججت وألقى فيها أبو مسلم فلم تضره فقيل له أنفه عنك وإلا أفسد عليك من اتبعك فأمره بالرحيل فأتى أبو مسلم المدينة وتوفى رسول الله صلى اله علي وسلم واستخلف أبو بكر رضي الله عنه فأناخ أبو مسلم راحلته بباب المسجد فقام يصلي إلى سارية فبصر به عمر ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ فقام إليه فقال : ممن الرجل؟ قال : من أهل اليمن . قال : ما فعل الذي حرقه الكذاب بالنار؟ قال : ذلك عبد الله بن ثوب . قال نشدتك الله أنت هو؟ قال اللهم نعم . فاعتنقه ثم بكى ، ثم ذهب به حتى أجلسه ما بينه وبين أبي بكر الصديق ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُم أجمعين ـ وقال : الحمد لله الذي لم يمتني حتى أراني في أمة محمد ﷺ من فعل به كما فعل بإبراهيم خليل الرحمن [2].

قال النووي ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ : وقوله : لا أسمع محتمل . وجهين ؛ **أحدهما** : معناه لا أقبل هذا . **والثاني** : أنه على ظاهره ، وأن الله تعالى سد مسامعه عن هذا الباطل . قال : وهذا أظهر [3].

(1) بستان العارفين 25.

(2) حلية الأولياء 2/ 129، وبستان العارفين 26.

(3) بستان العارفين : الموضع السابق .

الباب الثالث

قال القرطبي : في **تفسيره**[1] اختلف الناس ، هل يجوز أن يعلم الولي أنه ولي أم لا؟ على قولين :

أحدهما : أنه لا يجوز ، وأن ما يظهر على يديه يجب أن يلاحظه بعين خوف المكر ؛ لأنه لا يأمن أن يكون مكرًا واستدراجا له ، وقد حكي عن السري ـ رَحِمَهُ اللهُ ـ أنه كان يقول : إن رجلا دخل بستانا فكلمه من رأس كل شجرة طير بلسان فصيح ، وقال السلام : عليك يا ولي الله . فلو لم يخف أن يكون ذلك مكرًا كان ممكورا به ؛ ولأنه لو علم أنه ولي لزال عنه الخوف وحصل له الأمن ، ومن شرط الولي أن يستديم الخوف إلى أن تنزل عليه الملائكة ، كما قال تعالى : ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟﴾[2]. ولأن الولي من كان مختوما له بالسعادة والعواقب مستورة ، ولا يدري أحد ما يختم له به ، ولهذا قال عليه السلام : «**إنما الأعمال بالخواتيم**»[3].

القول الثاني : أنه يجوز للولي أن يعلم أنه ولي ، ألا ترى أن النبي ﷺ يجوز أن يَعْلَمَ أنه وليٌّ ، ولا خلاف أنه يجوز لغيره أن يعرفه أنه ولي لله ، فجاز له أن يعلم ذلك ، وقد أخبر النبي ﷺ عن حال العشرة من أصحابه أنهم أهل الجنة ، ولم يكن في ذلك زوال خوفهم ، بل كانوا أكثر تعظيما لله وأشد خوفا وهيبة ، وإذا جاز للعشرة من أصحابه ذلك ولم يخرجهم عن الخوف ، فكذلك غيرهم .

---

(1) الجامع لأحكام القرآن 11/ 29.

(2) سورة فصلت ، الآية : 30.

(3) أخرجه أحمد (5/ 335، رقم 22886) ، والبخاري (6/ 2436، رقم 6233) ، وابن حبان (14/ 50، رقم 6175) والطبراني (6/ 143، رقم 5784) ، والدارقطني فى الأفراد كما فى أطراف ابن طاهر (3/ 98، رقم 2147) .

وكان الشبلي يقول : أنا أمان هذا الجانب . فلما مات ودفن عبر الديلم الدجلة في ذلك اليوم واستولوا على بغداد . ويقول الناس : مصيبتان ؛ موت الشبلي وعبور الديلم ، ولا يقال : إنه يحتمل أن يكون ذلك استدراجا ؛ لأنه لو جاز ذلك لجاز ألا يعرف النبي أنه نبي وولي لله ، لجواز أن يكون ذلك استدراجا ، فلما لم يجز ذلك ؛ لأن فيه إبطال المعجزات لم يجز هذا ؛ لأن فيه إبطال الكرامات . وما روى من ظهور الكرامات على يد بلعام وانسلاخه عن الدين بعدها بقوله : ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾ [1]. فليس في الآية أنه كان وليا ، ثم انسلخت عنه الولاية ، وما نقل أنه أظهر على يده ما يجري مجرى الكرامات هو أخبار آحاد لا توجب العلم والله أعلم .

والفرق بين المعجزة والكرامة : أن الكرامات من شرطها الاستتار والمعجزة من شرطها الإظهار ، وقيل : الكرامة ما تظهر من غير دعوى ، والمعجزات ما تظهر عند دعوى الأنبياء ، فيطالبون بالبرهان ليظهر أثر ذلك .

(1) سورة الأعراف ، الآية : 175.

الباب الرابع

في الخضر عليه السلام

كنيته أبو العباس واسمه بليابن ملكان، وسبب تلقيبه بالخضر أنه جلس على فروة بيضاء فصارت خضراء والفورة وجه الأرض.

واختلف العلماء هل هو نبي أم ولي، واختلفوا أيضا هل هو حي أم ميت؟ وصحح أبو عمرو بن الصلاح والنووي ـ رحمهما الله تعالى ـ أنه حي؛ قيل: سبب حياته فيما يحكى أنه شرب من عين الحياة، وذلك أن ذا القرنين دخل الظلمات لطلب عين الحياة، وكان الخضر على مقدمته فوقع على العين فنزل واغتسل وشرب وصلى شكرا لله عز وجل وأخطأ ذو القرنين الطريق فعاد[1].

وقيل: إن الخضر وإلياس حيان يلتقيان كل سنة بالموسم، ويصومان شهر رمضان ببيت المقدس، وقيل: أربعة من الأنبياء أحياء؛ اثنان في الأرض؛ الخضر وإلياس، واثنان في السماء؛ إدريس وعيسى ـ عليهم السلام ـ قيل: إن إلياس موكل بالفيافي والخضر موكل بالبحار.

وروي أن موسى عليه السلام قال للخضر ـ عليه السلام ـ بماذا أطلعك الله تعالى على ما أطلعك من الغيب؟ قال: بترك المعاصي لأجل الله تعالى[2].

وروي أن موسى لما أراد أن يفارقه قال له: أوصني. قال: لا تطلب العلم لتحدث به، واطلبه لتعمل به[3].

(1) تفسير البغوي 5/ 197، وتفسير القرطبي 11/ 41، وتفسير الألوسي 11/ 319.

(2) قوت القلوب 261.

(3) تفسير البغوي 5/ 197.

قال وهب بن منبه : وكان يُرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع لجميع أهل الأرض في زمانه ، فتعجبت منه الملائكة ، فاشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن له ، فأتاه في صورة بني آدم فقال له : من أنت؟ فقال : أنا ملك الموت ، استأذنت ربي أن أصحبك . قال : فلي إليك حاجة . قال له : ما هي؟ قال : تقبض روحي . فأوحى الله إليه أن اقبض روحه ، فقبض روحه وردها الله إليه بعد ساعة ، ثم قال له : لي إليك حاجة أخرى؟ قال : وما هي؟ قال : ترفعني إلى السماء لأنظر إليها ، وإلى الجنة والنار . فأذن له في رفعه ، فلما قرب من النار . قال : حاجة أخرى . تسل مالكا حتى يفتح لي أبوابها ، فأردها ففعل ، ثم قال : وكما أريتني النار فأرني الجنة . فذهب به إلى الجنة واستفتح ففتح له أبوابها ، فدخلها ثم قال له ملك الموت : اخرج لتعود إلى مقرك . فتعلق بشجرة وقال : لا أخرج منها . فبعث الله ملكا حكما بينهما ، فقال له الملك : مالك لا تخرج؟! قال : لأن الله تعالى يقول : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [1]. وقد ذقته ، وقال : ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾ [2]. وقد وردتها ، وقال : ﴿وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ﴾ [3]. فلست أخرج . فأوحى الله إليه أي ملك الموت ، بإذني دخل ، وبأمري لا يخرج . فهو حي هناك [4].

وأما إلياس ـ عليه السلام ـ فروي أنه كان قد بُعث إلى بني إسرائيل ، فرأى منهم أذًى شديد ، ورأى أنهم لا يزدادون إلا طغيانا ، فسأل ربه أن يريحه منهم ، فقيل له فيما يزعمون : انظر يوم كذا وكذا ، فاخرج فيه إلى موضع كذا وكذا ، فما جاءك من شيء فاركبه ولا تهبه . فخرج إلياس ومعه اليسع حتى إذا كان

(1) سورة آل عمران ، الآية : 185.

(2) سورة مريم ، الآية : 71.

(3) سورة الحجر ، الآية : 48.

(4) تفسير البغوي 5/ 239، وتفسير القرطبي 11/ 119.

بالموضع الذي أمر، أقبل فرس من نار، وقيل: لونه كلون النار حتى وقف بين يديه، فركب عليه فانطلق به الفرس فناده اليسع: يا إلياس، ما تأمرني؟ فقذف إليه بكسائه من الجو الأعلى، وكان ذلك علامة استخلافه إياه على بني إسرائيل، فكان ذلك آخر العهد به ورفع الله إلياس من بين أظهرهم، وقطع عنه لذة المطعم والمشرب، وكساه الريش، فكان إنسيا ملكيا أرضيا سماويا والله أعلم[1].

وعن ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ قال الراوي لا أعلمه إلا مرفوعا إلى النبي ﷺ قال: «**يلتقي الخضر وإلياس في كل عام في الموسم فيحلق كل واحد منهما رأس صاحبه ويفترقان على هؤلاء الكلمات: بسم الله ما شاء الله، لا يسوق الخير إلا الله ما شاء الله، لا يصرف السوء إلا الله ما شاء الله، ما كان من نعمة فمن الله ما شاء الله، لا حول ولا قوة إلا بالله**». قال ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ في الكلمات التي يقولهن الخضر وإلياس ـ عليهما السلام ـ: من قالهن حين يصبح وحين يمسي ثلاث مرات أمنه الله من الغرق والحرق والسرق. قال الراوي: وأحسبه قال: من الشيطان والسلطان والحية والعقرب[2].

(1) تفسير الطبري 21/ 99، والبغوي 7/ 85، والقرطبي 15/ 115.

(2) أخرجه الطبراني (1/ 224، ترجمة 273 الحسن بن رزين) وقال: مجهول. وابن عدى (2/ 328، ترجمة 462 الحسن بن رزين) وقال: وهذا الحديث بهذا الإسناد منكر. وابن عساكر (9/211). وأخرجه أيضًا: الديلمى (5/ 504، رقم 8895)، وعزاه الحافظ فى الإصابة (2/305) لأبى إسحاق إبراهيم بن محمد المزكى فى فوائده، وقال: قال الدارقطنى فى الأفراد: لم يحدث به عن ابن جريج غير الحسن بن رزين. وقال أبو الحسين بن المنادى: هو حديث واه بالحسن المذكور انتهى، وقد جاء من غير طريقه لكن من وجه واه جدًّا أخرجه ابن الجوزى.

قصة أصحاب الكهف

قال الله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ [1]. أي: ليسوا بأعجب آياتنا [2]؛ فإن ما خلقت السموات والأرض وما فيهن من العجائب أعجب، والكهف هو الغار في الجبل، والرقيم لوح كتب فيه أسماء أهل الكهف وقصصهم، وكان من رصاص.

قال محمد بن إسحاق بن يسار [3]: عظمت الخطايا في أهل الإنجيل وطغت فيهم الملوك حتى عبدوا الأصنام، وفيهم بقية على دين المسيح، وكان فيهم ملك من الروم، يقال له: دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت، وقتل من خالفه، فنزل مدينة أصحاب الكهف وهي أفسوس، فلما نزلها كَبُر على أهل الإيمان فاستخْفَوا منه وهربوا، فاتخذ دقيانوس أعوانا من الكفار يتتبعون أهل الإيمان، فيجيئونه بهم فيخيِّرهم بين القتل وعبادة الأصنام؛ فمنهم من رغب في الحياة، ومنهم من أبى أن يعبد غير الله فيقتل ويصلب على سور المدينة، حتى عظمت الفتنة، فرأى ذلك فتية من أشراف الروم فحزنوا حزنا شديدا وقاموا واشتغلوا بعبادة الله عز وجل والتضرع إليه، فبينما هم على ذلك وقد دخلوا في مصلًّى لهم جاءتهم الأعوان فوجدوهم سُجَّدًا على وجوههم يكبون ويتضرعون إلى الله ـ عز وجل ـ فأخبروا دقيانوس بشأنهم، فبعث إليهم فأتى بهم تفيض أعينهم من الدمع معفرة وجوههم بالتراب، فقال: لهم اختاروا إما أن تذبحوا لآلهتنا وإما أن أقتلكم. فقال مكسلمينا: ﴿رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا

(1) سورة الكهف، الآية: 9.

(2) تفسير الطبري 17/ 601، وتفسير القرطبي 10/ 358.

(3) تفسير البغوي 5/ 146.

﴿لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾ [1]. أي : جورا . فقال أصحابه مثل قوله ، فلما قالوا ذلك قال لهم : إني أراكم شبابا حديثة أسنانكم ، ولا أرى أن أهلككم حتى أجعل لكم أجلا تذكرون فيه وترجعون إلى عقولكم ، ثم أمر بهم حتى أخرجوا ، ثم إن الفتية عمد كل واحد إلى بيت أبيه فأخذ نفقة فتصدق منها ، وانطلقوا بما كان معهم وتبعهم كلب حتى أتوا إلى كهف قريب من المدينة يقال له : بنجلوس ، فلبثوا فيه يعبدون الله تعالى ، وجعلوا نفقتهم إلى فتى منهم يقال له : تمليخا . وكان يبتاع لهم أرزاقهم سرًّا ، ويتحسس لهم الخبر ، هل ذكروا فلبثوا في ذلك مدة يدعون الله تعالى ويتضرعون إليه ويتعوذون من الفتنة ، فقال لهم تمليخا : يا اخوتاه ، ارفعوا رءوسكم واطعموا وتوكلوا على ربكم ، فرفعوا رءوسهم وأعينهم تفيض من الدمع ، فطعموا وذلك مع غروب الشمس ، ثم جلسوا يتحدثون ويتدارسون ويذكر بعضهم بعضا ، فبينما هم على ذلك إذ ضرب الله على آذانهم في الكهف وكلبهم باسط ذراعيه في باب الكهف ، فلما كان من الغد فقدهم دقيانوس ، فالتمسهم فلم يجدهم ، فأرسل إلى آبائهم فأتى بهم فسألهم عنهم فقالوا له : أما نحن فلا نعصيك فلم تقتلنا بقوم مردة قد ذهبوا بأموالنا وأهلكوها في أسواق المدينة ، ثم انطلقوا إلى جبل يدعى بنجلوس فخلى سبيلهم ، وجعل لا يدري ما يصنع بالفتية ، فألقى الله ـ عز وجل ـ في نفسه أن يأمر بالكهف فيسد عليهم ، أراد الله أن يكرمهم ويجعلهم آية لأمة تستخلف من بعدهم ، وأن يبين لهم أن الساعة آتية لا ريب فيها ، وأن الله يبعث من في القبور ، فأمر دقيانوس بالكهف أن يسد وقال : دعوهم يموتون في الكهف جوعا وعطشا ، ويكون كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم ، وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم ، وقد توفى الله أرواحهم وفاة النوم وكلبهم باسط ذراعيه بباب الكهف قد أصابه ما

(1) سورة الكهف ، الآية : 14.

أصابهم ، يقلبون ذات اليمين وذات الشمال ، ثم إن رجلين مؤمنين من بيت الملك دقيانوس يكتمان إيمانهما كتبا شأن الفتية وأنسابهم وأسماءهم في لوحين من رصاصا وجعلهما في تابوت من نحاس وجعلاه في البنيان وقالا : لعل الله يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين يوم القيام ، فيعلم من فتح عنهم حين يقرأ هذا الكتاب خبرهم ، ثم مات دقيانوس هو وقومه وقرون بعده كثير . قال محمد بن إسحق : ثم ملك أهل تلك البلاد رجل صالح يقال له : بندوسبيس وبقى في ملكه ثمانية وستين سنة ، فتحزب الناس في ملكه ، فمنهم من يؤمن بالله ويعلم أن الساعة حق ، ومنهم من يكذّب بها فكبر ذلك على الملك الصالح ، فبكى وتضرع إلى الله تعالى وحزن حزنا شديدا لما رأى أهل الباطل يزيدون ويظهرون على أهل الحق ، فدخل بيته وأغلق عليه بابه ولبس مسحا وجعل تحته رمادا ، وجعل يتضرع إلى الله ويقول : رب قد رأيت اختلاف هؤلاء فابعث لهم آية تبين لهم ، ثم إن الله عز وجل أراد أن يظهر أمر الفتية ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة ؛ ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ويستجيبوا لعبده الصالح بن دوسبيس ، ويتم نعمته عليه فألقى الله في نفس رجل من أهل ذلك البلد أن يهد البنيان الذي على فم الكهف ، فيبني حظيرة لغنمه ففعل ، وفتح باب الكهف وحجبهم الله عن الناس بالرعب ، ثم إن الله ـ عز وجل ـ يحيى الموتى أذن للفتية أن يجلسوا فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة أنفسهم فسلم بعضهم على بعض كأنما استيقظوا من ساعتهم التي كانوا يستيقظون لها إذا أصبحوا من ليلتهم ، ثم قاموا إلى الصلاة يصلون كعادتهم لا يرى في وجوههم ولا ألوانهم شيء ينكرونه كهيئتهم حين رقدوا ، فهم يرون أن ملكهم دقيانوس في طلبهم ، فلما قضوا صلاتهم قال بعضهم لبعض : كم لبثتم نياما؟ قالوا لبثنا يوما ؛ لأنهم كانوا إذا دخلوا الكهف عند طلوع الشمس واستيقظوا عند غروبها فلما رأوا بقية من الشمس قالوا : أو بعض يوم . فلما رأو طول أظفارهم وشعورهم قالوا : ربكم أعلم

بما لبثتم! ثم قالوا لتمليخا: انطلق إلى المدينة وتسمع ما يقال فينا، وابتع لنا طعاما، فوضع تمليخا ثيابه وأخذ الثياب كأخفاف الإبل فانطلق، فلما مر بباب الكهف رأى الحجارة منزوعة عن باب الكهف فتعجب منها، ثم مر ولم يبال بها، ثم أتى المدينة مستخفيا لا يراه أحد من أهلها فيعرفه، ولا يشعر أن دقيانوس قد هلك قبل ذلك بثلاثمائة سنة، فلما أتى باب المدينة رأى عليه علامة تكون لأهل الإيمان إذا كان أمر الإيمان ظاهرًا فيها، فتعجب من ذلك ثم تحول إلى باب آخر من أبوابها، فرأى مثل ذلك وجعل يخيل إليه أن المدينة ليست بالتي كان يعرفها، ورأى ناسا لم يكن رآهم قط، فتعجب من ذلك وقال: لعلي حالم. ثم يرى أنه ليس بنائم، ثم دخل المدينة فسمع ناسا يحلفون باسم عيسى ابن مريم، فتعجب من ذلك وقال في نفسه: والله ما أدري ما هذا؟ أما عشية أمس فليس على ظهر الأرض إنسان يذكر عيسى ابن مريم إلا قتل، والغداة أسمع كل إنسان يذكر اسم عيسى ولا يخاف! لعل هذه ليست بالمدينة التي أعرف، ثم لقي فتى فقال له: ما اسم هذه المدينة؟ فقال: أفسوس. فقال في نفسه: لعل بي جنونا. ثم دنا من الذين يبيعون الطعام فأخرج الورق التي كانت معه فأعطاها رجلا منهم فقال: بعني بهذه طاما. فأخذها الرجل فنظر إلى ضربها ونقشها فتعجب منها، ثم طرحها إلى رجل من أصحابه، ثم جعلوا يتطارحونها بينهم من رجل إلى رجل ويتعجبون منها ويقول بعضهم لبعض: إن هذا أصاب كنزا. فلما رآهم تمليخا يتشاورون في أمره فزع فزعا شديدا، وظن أنهم عرفوه وأنهم يريدون أن يذهبوا به إلى الملك دقيانوس، فقال لهم: قد أخذتم ورقي فأمسكوها، وأما طعامكم فلا حاجة لي به. فقالوا له: من أنت يا فتى، والله لقد وجدت كنزا من كنوز الأولين، فأرنا إياه وشاركنا فيه ونخفي عليك ما جدت، وإن لم تفعل نأت بك إلى السلطان فيقتلك، فلما سمع قولهم جعل لا يدري ما يقول لهم، فلما رأوه لا يتكلم جعلوه كساءة في عنقه، ثم جعلوا يقودونه في سكك المدينة حتى يسمع به

من فيها وهو ساكت ، ثم انطلقوا به إلى رئيسي المدينة اللذين يديران أمرها ، وهما رجلان صالحان اسم أحدهما أريوس واسم الآخر أسطيوس ، فنظر إلى الورِق فتعجبا منه ، ثم قال أحدهما : أين الكنز الذي وجدت يا فتى؟ فقال : ما وجدت كنزا ، ولكن هذا ورق آبائي ونقش هذه المدينة وضربها ، ولكن والله ما أدري ما شأني ، وما أقول لكم؟! فقيل له : من أنت قال : تمليخا ، وأنا من أهل هذه المدينة . قالوا : فمن أبوك ومن يعرفك بها؟ فأنبأهم باسم أبيه فلم يجدوا أحد يعرفه ولا يعرف أباه ، فقال أحدهما : أتظن أنا نرسلك ونصدقك إن هذا مال أبيك ونقش هذا الورق وضربها أكثر من ثلاثمائة سنة ، وأنت غلام شاب ، أتسخر بنا ونحن شمط ، كما ترى وخزائن هذه البلدة بأيدينا ، وليس عندنا من هذا الضرب درهم ولا دينار ، وإني سآمر بك فتعذب عذابا شديدا حتى تعترف بهذا الكنز الذي وجدته . فقال لهم : تمليخا أنبؤني عن شيء حتى أسألكم منه ، فإن فعلتم صدقتكم . قالوا : سل . قال : ما فعل الملك دقيانوس؟ قالوا : ليس نعرف على وجه الأرض ملكا يسمى دقيانوس ، ولم يكن إلا ملك هلك منذ زمان طويل ، وهلك بعده قرون كثيرة . فقال تمليخا : إني إذا لحيران ، وما أحد يصدقني من الناس بما أقول ، ولقد كنا فتية وأن الملك أكرهنا على عبادة الأوثان ، فهربنا منه عشية أمس ، فنمنا فلما انتبهنا خرجت لأشتري طعاما وأتحسس الأخبار ، فانطلقوا معي إلى الكهف الذي في جبل بنجلوس أريكم أصحابي . فلما سمع أريوس ما يقول تمليخا قال : يا قوم ، لعل هذه آية من آيات الله جعلها الله على يد هذا الفتى ، فانطلقوا بنا يرينا أصحابه ، فانطلقوا معه فلما سمع الفتية الأصوات وجلب الخيل ظنوا أنهم رسل دقيانوس ، فبينما هم كذلك لم يروا إلا أريوس وأصحابه وقوفا على باب الكهف ، فسبقهم تمليخا ودخل عليهم وأخبرهم وقص عليهم نبأه ، فعرفوا عند ذلك أنهم كانوا نياما بإذن الله تعالى ذلك الزمان كله ، وإنما أوقظوا ليكونوا آية للناس ، وليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها ، ثم دخل أريوس

فرأى تابوتا من نحاس مختوما بخاتم من فضة ، فدعا رجالا من عظماء أهل المدينة ففتح التابوت عندهم فوجد فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما أسماء الفتية ، وأنهم هربوا من ملكهم دقيانوس الجبار مخافة أن يفتنهم عن دينهم ، فدخلوا هذا الكهف ، فلما أخبر بمكانهم أمر بالكهف فسد عليهم بالحجارة ، وإنا كتبنا شأنهم وخبرهم ليعلمهم من بعدهم إن عثر عليهم . فلما قرءوه عجبوا وحمدوا الله الذي آراهم آية البعث فيهم ، ثم دخلوا على الفتية فوجدهم جلسوا مشرقة ووجوهم لم تبل ثيابهم ، فخر أريوس وأصحابه سجودا وحمدوا الله الذي آراهم آية ، ثم أنبأهم الفتية عن الذين لقوا من ملكهم دقيانوس ، ثم إن أريوس وأصحابه بعثوا بريدا إلى الملك الصالح بدوسبيس أن اعجل لعلك تنظر آية من آيات الله جعلها الله تعالى على ملكك ، وجعلها الله آية للعالمين لتكون نورا وضياء وتصديقا للبعث ، فركب الملك وأهل المدينة حتى أتوا نحو الكهف ، فلما رأى الفتية بندوسبيس فرحوا به وخروا سجدا لله تعالى على وجوههم ، وقام بندوسبيس وعانقهم وبكى وهم جلوس بين يديه على الأرض يسبحون الله ويحمدونه ، ثم قال الفتية لبتدوسبيس : نستودعك الله والسلام عليكم ورحمة الله وحفظك الله ، وحفظ ملكك ونعيذك بالله من شر الإنس والجن ، ثم رجعوا إلى مضاجعهم ، وتوفى الله أنفسهم فأمر الملك أن يجعل كل واحد منهم في تابوت من ذهب ، فلما أمسى ونام أتوه في المنام فقالوا له : إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكن خلقنا من التراب وإلى التراب نعود ، فاتركنا في الكهف كما كنا على التراب حتى يبعثنا الله منه ، فأمر الملك بتابوت من ساج فجعلوا فيه ، وحجبهم الله حين خرجوا من عندهم بالرعب ، فلم يقدر أحد أن يدخل عليهم ، وجعل الملك على باب الكهف مسجدا ، وجعل لهم عيدا عظيما يؤتى كل سنة والله أعلم .

روي الواحدي عن ابن عباس ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُما ـ في قوله تعالى: ﴿إِلَّا قَلِيلٌ﴾. أنا من القليل، وهم مكسلمينا وتمليخا ومرطونس ويينونس وساريونس وذونوانس وكفشيطينونس والكلب اسمه قطمير[1]. تمت بعون الله وحسن توفقيه.

❊ ❊ ❊

(1) تفسير البغوي 5/ 150، والطبري 17/ 629.

قصة اسكندر ذي القرنين عليه السلام

قال الله تعالى : ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى ٱلْقَرْنَيْنِ ۖ قُلْ سَأَتْلُوا۟ عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٣﴾﴾ [1]. قيل : إنه كان نبيا والأكثرون على أنه كان ملكا عادلا صالحا ، وسمي بذي القرنين ؛ لأنه بلغ قرني الشمس مشرقها ومغربها ، وكان اسمه إسكندر .

﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [2]. قال علي ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ سخر له السحاب ، فحمله عليه ، ومد له في الأسباب ، وبسط له النور ، فكان الليل والنهار عليه سواء.﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ﴾ يحتاج إليه الخلق ﴿سَبَبًا﴾ السبب ما يوصل الشيء إلى الشيء . وقال الحسن : بلاغا إلى حيث أراد . ﴿فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ . أي : سلك وسار طريقا (حتى إذا بلغ مغرب الشمس وجدها تغرب في عين حامية) . أي : حارة وقرئ ﴿حَمِئَةٍ﴾ بالهمزة من غير مد ، أي : ذات حمأة وهي الطينة السوداء [3]. قال القتيبي : يجوز أن يكون معنى قوله : ﴿فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ . أي : عندها أو في رأي العين وجد عندها قوما [4]. قال ابن جريج : مدينة لها اثنا عشر ألف باب ، لولا ضجيج أهلها لسمعت وجبة الشمس حين تجب [5].

﴿قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ﴾ يستدل بهذا من زعم أنه كان نبيا ؛ فإن الله تعالى خاطبة ، والأصح أنه لم يكن نبيا ، والمراد منه الإلهام ، ﴿إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ﴾ . يعني :

(1) سورة الكهف ، الآية : 83.

(2) سورة الكهف ، الآية : 84.

(3) البغوي 5/ 198، وابن أبي شيبة 4/ 346.

(4) البغوي 5/ 199.

(5) البغوي 5/ 199.

إما أن تقتلهم إن لم يدخلوا في الإسلام [1] ﴿وَإِمَّآ أَن نَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا﴾ . يعني : تعفو وتصفح [2].

﴿قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ﴾ . أي : كفر . ﴿فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ﴾ . أي : في الآخرة ﴿فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا﴾ . أي : منكرا . يعني النار ، وهي أنكر من القتل .

﴿وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ﴿٨٨﴾﴾ . أي : نلين له القول ونعامله باليسر من أمرنا .

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ﴾ . أي : موضع طلوعها ﴿وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا﴾ . قال الحسن وقتادة : لم يكن بينهم وبين الشمس ستر ، وذلك أنهم كانوا في مكان لا يستقر عليه بناء ، وكانوا يكنون في أسراب لهم ، حتى إذا زالت الشمس عنهم خرجوا إلى معايشهم وحروثهم [3].

وقوله : ﴿كَذَٰلِكَ﴾ . أي : كما حكم في القوم الذين هم عند مغرب الشمس حكم في الذين هم عند مطلعها ، ﴿وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ﴾ . أي : بما عنده ومعه من الجند والآلات ﴿خُبْرًا﴾ . أي : علما .

﴿ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ﴾ . أي : الجبلين ﴿وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا﴾ ، أي : أمام السدين ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا﴾ . أي : لا يفقهون كلام أحد .

﴿قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ﴾ . هم من أولاد يافث بن نوح ، وقيل : إن آدم احتلم وامتزجت نطفته التراب ، فخلق الله من ذلك الماء يأجوج ومأجوج ،

(1) البغوي 5/ 199.

(2) البغوي 5/ 199.

(3) البغوي 5/ 200.

وقال قتادة: هما اثنان وعشرون قبيلة بني ذو القرنين السد على إحدى وعشرين قبيلة، وبقيت قبيلة واحدة وهم الترك، وسموا الترك لأنهم تركوا خارجين[1].

وروي عن حذيفة مرفوعا: «**إن يأجوج أمة ومأجوج أمة، كل أمة أربعمائة ألف أمة، لا يموت الرجل منهم حتى ينظر إلى ألف ذكر من صلبه، كلهم قد حملوا السلاح، وهم من ولد آدم يسيرون إلى خراب الدنيا، وهم ثلاثة أصناف، منهم أمثال الأرز شجر بالشام، طوله عشرون ومائة ذراع في السماء، وصنف منهم عرضه وطوله سواء عشرون ومائة ذراع في السماء، وهؤلاء لا يقوم بهم جبل ولا حديد، وصنف منهم يفترش إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى، لا يمرون بفيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه، ومن مات منهم أكلوه مقدمتهم بالشام وساقتهم بخراسان، يشربون أنهار المشرق وبحيرة طبرية**»[2].

وعن علي ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ أنه قال: منهم من هو طوله شبر، ومنهم من هو مفرط في الطول[3].

قوله عز وجل: ﴿قَالُواْ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾. قال الكلبي: فسادهم أنهم كانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم، فلا يدعون فيها شيئًا أخضر إلا أكلوه ولا شيئا ياسبا إلا احتملوه، ولقوا منهم أذى شديد وقتلا. وقيل: فسادهم أنهم كانوا يأكلون الناس[4].

﴿فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا﴾. أي: جعلا، ﴿عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا﴾. أي: حاجازا فلا يصلون إلينا. ﴿قَالَ مَا مَكَّنِّى فِيهِ رَبِّى خَيْرٌ﴾ من جعلكم

(1) البغوي 5/ 202.

(2) أخرجه ابن جرير فى التفسير (87/17).

(3) تفسير البغوي 5/ 204.

(4) تفسير البغوي 5/ 204، وتذكرة القرطبي 179.

﴿فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ﴾ . أي : أعينوني بأبدانكم وقوتكم ﴿أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا﴾ . أي : سدا قالوا : وما تلك القوة؟ قال : فَعَلَة وصنّاع يحسنون البناء والعمل والآلة . قالوا : وما تلك الآلة؟ قال : ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلْحَدِيدِ﴾ . أي : قطع الحديد ، فأتوا بها وبالحطب ، فجعل الحديد على الحطب والحطب على الحديد ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ ٱلصَّدَفَيْنِ﴾ . أي : طرفي الجبلين ، ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ . أي : في النار ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارًا﴾ . أي : صار الحديد نارا ﴿قَالَ ءَاتُونِىٓ أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا﴾ . أي : نحاسا مذابا ، فجعلت النار تأكل الحطب ويصير النحاس مكان الحطب حتى لزم الحديد النحاس ، وفي القصة أن عرضه كان خمسين ذراعا وارتفاعه مائتي ذراع ، وطوله فرسخ ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُوا۟ لَهُۥ نَقْبًا﴾ . من أسفله لشدته وصلابته . ﴿قَالَ﴾ . أي : ذو القرنين ﴿هَـٰذَا﴾ أي : هذا السد ﴿رَحْمَةٌ﴾ . أي : نعمة ﴿مِّن رَّبِّى ۖ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ رَبِّى﴾ . قيل : يوم القيامة . وقيل : وقت خروجهم ﴿جَعَلَهُۥ دَكَّآءَ ۖ﴾ . أي : مدكوكا مستويا مع وجه الأرض ﴿وَكَانَ وَعْدُ رَبِّى حَقًّا﴾ .

وروى قتادة عن أبي رافع عن أبي هريرة ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ يرفعه : «**إن يأجوج ومأجوج يحفرونه كل يوم حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم : ارجعوا ستحفرونه غدا ، فيعيده الله كما كان حتى إذا بلغوا مدتهم حفروا حتى إذا كادوا يرون شعاع الشمس قال الذي عليهم : ارجعوا فستحفرونه غدا إن شاء الله تعالى ، فاستثنى فيغدون إليه وهو كهيئته حين تركوه فيحفرونه فيخرجون على الناس فيتبعون المياه ويتحصن الناس في حصونهم منهم ، فيرمون بسهامهم إلى السماء ، فترجع كهيئة الدم فيقولون : قهرنا إله السماء ، وعلونا إله السماء . فيبعث الله عليهم نغفا في أقفائهم ، فيهلكون وإن دداب الأرض لتسمن وتشكر من لحومهم شكرا**» [1].

(1) أخرجه أحمد (2/ 510، رقم 10640) ، والترمذى (5/ 313، رقم 3153) وقال : حسن غريب ، وابن=

وفي القصة أن ذا القرنين دخل الظلمة، فلما رجع توفى بشهرزورد، وذكر بعضهم أن عمره كان نيفا وثلاثين سنة والله أعلم.

❊ ❊ ❊

=ماجه (2/ 1364، رقم 4080)، والحاكم (4/ 534، رقم 8501) وقال: صحيح على شرط الشيخين، والطبرى فى التفسير (21/16)، وأبو يعلى (11/ 321، رقم 6436) والعقيلى (2/ 285، ترجمة 853 عبد الله بن عصمة الجزرى)، وابن حبان (15/ 242، 243، رقم 6829)، وأبوعمرو الدانى فى السنن الواردة فى الفتن (6/ 1205، رقم 666).

قصة حبيب النجار رَحِمَهُ اللهُ تعالى

قال الله تعالى ﴿وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلًا أَصۡحَٰبَ ٱلۡقَرۡيَةِ﴾ [1]. وهي أنطاكية. ﴿إِذۡ جَآءَهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ﴾. يعني: رسل عيسى عليه السلام [2].

قال العلماء بأخبار الأنبياء: بعث عيسى رسولين من الحواريين إلى مدينة أنطاكية، فلما قربا من المدينة رأيا شيخا يرعى غنيمات له، وهو حبيب النجار، فلما سلما عليه قال لهما: من أنتما؟ قالا: رسولا عيسى، ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن. فقال: أمعكما آية؟ قالا: نعم، نحن نشفي المريض، ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، فأتاهما بابن له مريض منذ سنين، فمسحاه فقام في الوقت بإذن الله عز وجل صحيحا [3].

قال وهب: بعث عيسى هذين الرجلين إلى أنطاكية، فأتياها فلم يصلا إلى ملكها، وطالت مدة مقامهما، فخرج الملك ذات يوم فكبرا وذكر الله تعالى، فغضب الملك وأمر بهما فحبسا وجلد كل واحد منهما مائة جلدة، قالوا: فلما كُذب الرسولان وضُربا بعث عيسى رأس الحواريين شمعون الصفار على أثرهما لينظرهما، فدخل شمعون البلدة وتنكر وجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به، فرفعوا خبره إلى الملك، فدعاه ورضي عشرته وأنس به وأكرمه، ثم قال له ذات يوم: أيها الملك، بلغني عنك أنك حبست رجلين حين دعواك إلى غير دينك، فهل كلمتهما وسمعت قولهما؟ فقال: الملك حال الغضب بيني وبين ذلك. قال: فإن رأي الملك أن يدعوهما حتى يطلع الملك على ما عندهما فدعاهما،

(1) سورة يس، الآية: 13.

(2) تفسير البغوي 7/ 10.

(3) تفسير البغوي 7/ 11.

فقال لهما شمعون: من أرسلكما إلى ههنا؟ قالا: الله الذي خلق كل شيء، وليس له شريك. فقال لهما شمعون: صفا وأوجزا. فقالا: إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. فقال شمعون: وما آيتكما؟ قالا: ما تتمناه. فأمر الملك حتى جاءوا بغلام مطموس العينين موضع عينه كالجبهة، فما زالا يدعوان حتى انشق موضع البصر، فأخذا بندقتين من طين فوضعاهما في حدقتيه، فصارتا حدقتين، فتعجب الملك! فقال شمعون للملك: إن أنت سألت إلهك حتى يصنع مثل هذا فيكون لك الشرف، فقال الملك: ليس لي دونك سرٌّ، إن إلهنا الذي نعبده لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع. فقال الملك للرسولين: إن قدرا إلهكما على إحياء ميت آمنا به وبكما. قالا: إلهنا قادر على كل شيء، فأتاهما بميت قد مات منذ سبعة أيام، وقد أنتن فجعلا يدعوان ربهما وجعل شمعون يدعو سرًّا، فقام الميت بإذن الله، وقال: إني قد مت منذ سبعة أيام، ووجد مشركا فأدخلت في تسعة أودية من النار، وأنا أحذركم ما أنتم فيه، فآمنوا بالله، ثم قال: فتحت أبو السماء ورأيت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة. قال الملك: ومن الثلاثة؟ قال: شمعون وهذان. وأشار إلى صاحبيه، فتعجب الملك لما علم، وكان شمعون إذا دخل الملك على الصم يدخل بدخوله، ويصلي لله كثيرا ويتضرع إليه حتى ظنوا أنه على ملتهم، فلما علم شمعون أن قوله أثر في الملك أخبره في الحال ودعاه، فآمن الملك، وآمن قوم وكفر آخرون [1].

وقال ابن إسحاق ووهب: بل الملك لم يؤمن ولم يصدقهم، فاجتمع هو وقومه على قتل الرسل، وبلغ ذلك حبيبًا فجاء يسعى إليهم ويذكرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين، فذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾. قال: وهب: اسمهما يحنا وبولس ﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا﴾ فقوينا بثالث هو شمعون، وإنما

(1) تفسير البغوي 7/ 11.

أضاف الله الإرسال إليه؛ لأن عيسى عليه السلام إنما بعثهم بأمره ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيۡكُم مُّرۡسَلُونَ * قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ﴿١٥﴾ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴿١٧﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرۡنَا﴾. تشاءمنا بكم، وذلك أن المطر حبس عنهم فقالوا: أصابنا هذا بشؤمكم، ﴿لَئِن لَّمۡ تَنتَهُواْ لَنَرۡجُمَنَّكُمۡ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ * قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ﴾. أي: شؤمكم معكم بكفركم وتكذيبكم ﴿أَئِن ذُكِّرۡتُمۡۚ﴾ وعظتم بالله، وهذا استفهام محذوف الجواب تقديره: إن ذكرتم تطيرتم بنا، ﴿بل أنتم قوم مسرفون * وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾. وهو حبيب النجار، وكان مؤمنا ذا صدقة يجمع كسبه إذا أمسى فيقسمه نصفين؛ فيطعم نصفا لعياله ويتصدق بنصف، فلما بلغه أن قومه قصدوا قتل الرسل جاءهم فقال: ﴿يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾. قال قتادة: كان حبيب النجار في غار يعبد ربه فلما بلغه خبر الرسل أتاهم فأظهر دينه وقال لما انتهى إلى الرسل: أتسألون على هذا أجرا؟ قالوا: لا، فأقبل على قومه، وقال: ﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ * ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٢١﴾﴾. فلما قال ذلك قالوا له: أنت مخالف لديننا ومتابع لدين هؤلاء الرسل، ومؤمن بإلههم. فقال: ﴿وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٢٢﴾﴾. قيل: أضاف الفطرة إلى نفسه والرجوع إليهم؛ لأن الفطرة أثر النعمة، وكان عليه أظهر، وفي الرجوع معنى الزجر، وكان بهم أليق ﴿ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً﴾ استفهام بمعنى الإنكار، أي: لا أتخذ من دونه آلهة ﴿إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا يُنقِذُونِ﴾ من العذاب لو عذبني الله إن فعلت ذلك ﴿إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴿٢٤﴾ إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ﴿٢٥﴾﴾. فلما قال ذلك وثب القوم عليه وثبة رجل واحد

فقتلوه [1].

قال ابن مسعود ـ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ـ: وطؤه بأرجلهم حتى خرج قصبه من دبره [2].

وقال السدي: كانوا يرمونه بالحجارة، وهو يقول اللهم: اهد قومي. حتى قتلوه وقطعوه [3].

وقال الحسن: خرقوه خرقا في حلقه فعلقوه بسور المدينة، وقبره بأنطاكية فأدخله الله الجنة وهو حي فيها يرزق فذلك قوله تعالى: ﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ﴾. قال: فلما أفضى إلى الجنة قال: ﴿يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَۢ * بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ٢٧﴾ أي: تمني أن يعلم قومه أن الله غفر له وأكرمه ليرغبوا في دين الرسل. قيل: ما ترك نصح قومه حيا ولا ميتا، فلما قتلوه غضب الله له وعجل لهم النقمة، فأمر جبريل عليه السلام فصاح بهم صيحة واحدة فماتوا عن آخرهم، فذلك قوله تعالى ﴿وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾. أي: من بعد قتله ﴿مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾. يعني: الملائكة ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾. أي: ما كنا نفعل هذا، بل الأمر في إهلاكهم كان أيسر ما يظنون ثم بين عقوبتهم فقال: ﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾. قال المفسرون: أخذ جبريل ـ عليه السلام ـ بعضادتي باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة، ﴿فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ﴾. أي: ميتون [4].

❊ ❊ ❊

(1) تفسير البغوي 7/ 11.

(2) تفسير الطبري 20/ 509، وتفسير البغوي 7/ 15.

(3) تفسير البغوي 7/ 15.

(4) تفسير البغوي 7/ 15.